الكتابة الصحفية الساخرة بجريدة الشروق اليومي

دراسة تحليلية لعمود منمات للكاتب عمار يزلي أنموذجا

الأستاذة: نجاة بوثلجة، جامعة قسنطينة03، الجزائر

الأستاذ الدكتور: فضيل دليو، جامعة قسنطينة03، الجزائر

الملخص:

تحتل الكتابات الساخرة حيزا مهما من الحضور والإبداع على صفحات الإعلام الجزائري المكتوب، ولا شك أنها ليست وليدة اليوم بل كان لها تواجدا يمتد إلى جذور أدبنا العربي القديم، وقد رافقت الصحافة المكتوبة هذا الفن مع بداية التعددية الإعلامية فظهرت "الصح آفة" و"المنشار" و"الوجه الآخر"...، ولنا في المشهد الإعلامي الجزائري الكثير من الأسماء التي اختارت هذا المنهج في الكتابة الصحفية أمثال: "رضا حوحو" و"الحبيب راشدين" و"حسان زهار" و"عمار يزلي"، الذي تميز بعموده الصحفي "منامات" بجريدة "الشروق اليومي"، يقوم هذا الأخير على الصور الحسية للسخرية المأخوذة من واقع المجتمع الجزائري، كما أن بعض كلماته الدارجة استطاعت أن تؤدي دورا هاما في إيصال فكرته الناقدة للقارئ الجزائري.

Abstract:

Satirical writings occupy an important place of presence and creativity on written Algerian media pages, and there is no doubt that it had a presence extends to the roots of our old Arabic literature. The written press has accompanied this art with the beginning of media pluralism, where "AL SAHAFAA", "AL MANCHAR", and "WAJH AL AKHAR" newspaper has emerged… ,and we have in the Algerian media landscape a lot of names that have chosen this approach in journalism writting likes: "Reda Houhou" "Habib Rachidine", "Hassan Zahar" and "Amar Yazli", who was marked by his column "Manamat" in "Echourouk" newspaper, where this latter was based on the sensual images of ridicule taken from the reality of the Algerian society, also some of his colloquial words has been able to play an important role in transmitting his critical idea to the Algerian reader.

مقدّمة:

تُعد الكتابة الساخرة من أصعب الفنون الصحفية كونها منفتحة على الكثير من الحقول المعرفية، إضافة إلى جمعها بين عدة متناقضات ففي الوقت الذي يجب أن تكون فيها سهلة وسلسلة يجب أن تكون محبوكة بصور بلاغية قوية، وعليها وأن تحتوي على المبالغة بالوقت الذي تكون فيه موضوعية للغاية، كما يجب عليها أن تصنع البسمة بمهنية جادة في تناولها للموضوعات عن طريق سيطرتها التامة على اللغة والتعبير محققة أسلوبا سهلا من جهة وممتنعا من جهة أخرى، وقد تجلت من خلال هذا المقال في تلك الأعمدة الساخرة التي يقدمها الكاتب والصحفي "عمار يزلي".

يعتبر هذا الكاتب (*)من بين أبرز وأهم الأدباء الجزائريين الذين اشتهروا بأعمالهم وإبداعاتهم الساخرة في المجال الأدبي والصحفي على حد سواء، إذ كان من المؤسسين الأوائل للجرائد الساخرة بالجزائر أثناء بداية فترة التعددية الإعلامية بالجزائر، كما كانت السُّخرية هي السمة الغالبة في مختلف أعماله القصصية وحتى الإعلامية، اتجه بها لنقد الأوضاع السلبية المتواجدة بالمجتمع بشكل عكست فيه طبيعة الناس وحقيقتهم وواقعهم ونظامهم الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي، ممثلة بذلك ثورة فكرية ضد الاختلالات المجتمعية ومتنفسا كبيرا للقراء.

1/ التعريف بالموضوع:

يحاول هذا المقال مناقشة وتحليل مدى التلاحم القائم بين الأدب الساخر والصحافة، بالتطرق إلى دور الذي يؤديه كل منهما في تطوير المجتمع عن طريق نزعتهما الإصلاحية والنقدية، من هنا تكمن أهمية هذه الدراسة التحليلية في كونها وسيلة للتعرف على الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي السائد في المجتمع الجزائري من زاوية إعلامية ساخرة، ولتحقيق ذلك اختيرت عينة مما كتبه الصحفي والكاتب الجزائري "عمار يزلي" من خلال عموده "منامات" الذي يُنشر مرتين في الأسبوع بجريدة "الشروق اليومي".

يعتبر هذا الإعلامي من رواد الكتابة الساخرة في الجزائر، فقد كانت له العديد من الآراء الهامة اتجاه الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية الوطنية وحتى الدولية، وانطلاقا من مكانته المهمة في الكتابة الساخرة وصيته الذائع في الإعلام الجزائري، ونظرا لعدم التوصل إلى بحث يخص أعماله الصحفية دراسة وتحليلا كان الاتجاه نحو اختيار هذا الموضوع دافعا قويا لدراسته والبحث فيه، من خلال تسليط الضوء على سمة السخرية التي تزخر بها أعماله الصحفية عبر مناقشة عدة تساؤلات دارت إشكالاتها حول:

1. كيف تجاوب الكاتب "عمار يزلي" مع الأحداث الوطنية من خلال عمود "منامات" المنشور بجريدة الشروق اليومي؟ وما هي طبيعة الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها؟
2. ما هي الأسس والمبادئ التي قامت عليها تلك السخرية؟ وما هي دلالاتها؟
3. ما هي أهم أساليب البلاغية المعتمدة في السخرية؟
4. أي لغة اختارها للتعبير عن ذلك الواقع؟ وما هي مستويات قراءة عموده الساخر؟

2/ الإجراءات المنهجية الخاصة بالموضوع:

تعد دراسة علاقة الأدب الساخر بالصحافة من الدراسات الوصفية، التي لا تنحصر أهدافها في مجرد جمع البيانات والمعلومات، بل يمتد مجالها إلى تصنيف البيانات والحقائق وتحليلها تحليلا شاملا، لاستخلاص نتائج ودلالات تؤدي إلى إمكانية إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها [1] تتحد مكامن الاستفادة من تلك النتائج في تقييم المضمون الصحفي الساخر المقدم للقارئ الجزائري من قبل صحيفة "الشروق اليومي" خلال الثلاثي الأول من سنة 2016م، وهي السنة التي بدأت فيها الجزائر تطبيق سياستها

الجديدة للتعامل مع مستجدات الانخفاض الرهيب لأسعار البترول الذي يُعد موردا أساسيا لاقتصادها الوطني.

إذا كان الأساس في الدراسات الوصفية هو تصوير وتحليل وتقويم الظاهرة المدروسة، فإن أهم منهج تعتمد عليه هذه الدراسات لتحقيق هدفها هو منهج المسح، الذي يستهدف تسجيل وتحليل وتفسير الظاهرة في وضعها الراهن بعد جمع البيانات اللازمة والكافية عنها وعن عناصرها من خلال مجموعة من الإجراءات المنظمة [2] إلا أن الإحاطة بكل مفردات الكتابات الساخرة التي قام بنشرها "عمار يزلي" بصحيفة "الشروق اليومي"خلال سنة 2016م يعد أمرا صعبا، اتجهنا نحو الاعتماد على منهج المسح عن طريق العينة، باعتباره أحد المسوح التي تهتم بدراسة جزء من أفراد المجتمع، أو تنصب على عدد محدود من المفردات، خاصة إذا كان اختيار العينة قد تم على أسس سليمة [3] لذا فقد تم تحديد عينة زمنية ممتدة على مدار ثلاثة أشهر بدءا من يوم الأحد 03 جانفي 2016م (*)وانتهاءً بيوم الخميس 31 مارس من ذات السنة.

ومن ثم حصر كل الأعمدة التي نشرت ليتم بعد ذلك إخضاعها للتحليل والتفسير، موظفين لذلك "تقنية تحليل المضمون" من أجل تحقيق وصف موضوعي ومنظم وكمي للدراسة، [4] حيث خُصت فئات مضمونها بتحليل: مواضيع الأعمدة الساخرة، وأهدافها، وأساليبها البلاغية الموظفة، في حين خُصت فئات شكلها بتحليل: طبيعة البناء الفني للعمود الصحفي، ثم التطرق إلى اللغة المستخدمة مع تبيان نوع العبارات والكلمات الموظفة في النص وفي العنوان، أما بالنسبة لوحدات القياس المستعملة فقد تم توظيف "الكلمة" كوحدة الترميز و"الموضوع" كوحدة للسياق.

3/ مدخل مفاهيمي للموضوع:

تفرض طبيعة الاستخدام الوظيفي للمفهوم من قبل الباحث تحديد دلالته على نحو معين دون آخر، لهذا يُعد تفسيرها بالتطرق إلى مدلولاتها المختلفة

من أهم الجوانب المساعدة على توضيح فكرة الموضوع الرئيسة، ومتى تَمَكَّن الباحث من الإلمام بجميع المفاهيم وشرحها وأحسن توظيفها بما يناسب هدف الدراسة كانت النتائج قيمة والبحث سليما، ويتجلى ذلك التوظيف في العنوان الذي يُميِّز كل واحد منها على الآخر.

وفقا لذلك يتجه عنوان هذا المقال نحو الاهتمام بالكتابة الساخرة في الصحافة الجزائرية متخذين من الأعمدة التي يكتبها "عمار يزلي" وتنشرها جريدة "الشروق اليومي" نماذج للتحليل، بالنظر إلى هذا الموضوع يتضح لنا أنه يتكون من مفهوم شامل ومركب غير قابل للتجزئة، حيث تُشكل متغيراته وحدة متكاملة ووظيفية في التعبير عن المعنى المراد الوصول إليه.

1-3/ المدلول الاصطلاحي للكتابة الصحفية الساخرة:

تُمثل الكتابة الصحفية الساخرة نوعا من فنون التحرير الصحفي القائمة على تحويل الأحداث، والأفكار والخبرات والقضايا الإنسانية إلى مادة صحفية مطبوعة، أساسها الإفهام أولا، والتعريف بما يجري من حول القارئ ثانيا، وجذبه وتشويقه ثالثا، ثم النقد والإقناع والإرشاد والتوجيه رابعا [(5)] هي من ناحية أخرى نوعا من التأليف الأدبي وشكلا من أشكال المقاومة الاجتماعية، تقوم على أساس انتقاد الانحرافات الإنسانية، برصد ومراقبة ما يجري أو يحدث من اختلالات اجتماعية يتم التعليق عليها باستخدام أساليب ووسائل خاصة في التهكم ما يجعلها مثيرة للضحك [(6)] .

يُبحر من خلالها الكاتب الساخر بآرائه دون خوف من الرقابة نظرا لاحتمائه تحت مظلة "الإيحاء".تعرف الكتابة الصحفية الساخرة كذلك على أنها واحدة من أرقى فنون الكتابة وأصعبها، كونها تتطلب ثقافة واسعة ودراية شاملة بأسرار الحياة وخباياها، يعتمد من خلالها الكاتب السَّاخر على وسائط متعددة لإيراد دلالته مُوازنا بين العناصر اللسانية والوجدانية إلى حدود الالتباس، فهي وإن ارتبطت بالهزأ والتحقير إلا أن إتقانها يستدعي ذكاءً وفطنة شديدين[(7)]،

بالمقابل فإن فهمها من قبل المتلقي يقوم على استنباط المفارقة الدلالية التي يشكلها تقاطع بنية ضدية بين المعنى الظاهر والمعنى الملتبس الذي يؤدي لانفعال الضحك أو الرغبة فيه.

حتى وإن تعددت المفاهيم الاصطلاحية التي بُنيت عليها الكتابة الصحفية الساخرة، يبقى أنها تتشكل في صيغة مفارقة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي[8]، الذي يحاول الصحفي السَّاخر إيصاله إلى الجمهور المتلقي، معتمدا على النظرة الموضوعية من جهة وعلى الرمزية في تناول الأحداث ومناقشة القضايا من جهة أخرى قصد تحقيق التهذيب والإصلاح الاجتماعي.

2-3/ المدلول الإجرائي للكتابة الصحفية الساخرة:

يُقصد بالكتابة الصحفية الساخرة -من خلال هذا المقال- تلك الأعمدة الصحفية التي يقدمها الكاتب "عمار يزلي" للقارئ الجزائري عبر جريدة "الشروق اليومي"، والتي وظفها لنقل موقفه الانتقادي المليء بمعاني الاستخفاف والاستهزاء من الأوضاع السلبية المنتشرة في المجتمع الجزائري سواء في ناحيته السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، بعيدا عن العاطفة الجامحة والانفعال الحاد قصد الإصلاح والتقويم والتغيير نحو الأحسن [9]، عن طريق درء المفاسد المتصلة بالشخصيات أو الهيئات أو الطبقات المنحرفة بطريقة عكس فيها الواقع بصورة ساخرة ومُعبرة.

3/ نشأة وتطور الكتابة الصحفية الساخرة بالجزائر:

يجدر التأكيد أنه من الصعب تحديد تاريخ واضح لظهور فن الكتابة الصحفية الساخرة في الوطن العربي والجزائر، فعند الرجوع إلى التاريخ العربي يتجلى لنا "الجاحظ"-ربما- كأول كاتب عالج فن السخرية في مجال النثر، تاركاً أعظم رسالة أدبية كُتبت في هذا الفن سواء في الأدب أو في الصحافة حتى اليوم [10]، حسب ما أشار إليه الكاتب "عبد اللطيف حمزة" من خلال كتابه: "المدخل في فن التحرير الصحفي"[11]، بالمقابل عرفت الجزائر هذا النوع الفني من خلال

رواية "الحمار الذهبي (*)،للأديب الجزائري "لوكيوس أبوليوس"، وهي عبارة عن قراءة نقدية ساخرة للمجتمع الإغريقي على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني، كونها تعرض جرأة اللصوص ودناءة الرهبان وقسوة السيد على عبيده [12]. يقودنا الحديث عن الكتابة الأدبية الساخرة في الجزائر إلى التطرق للصحافة، ذلك أن التراث الأدبي الجزائري معظمه متناثر في الصحف، بل إن الصحافة تكاد تكون أول المنابر وأهم قنوات التعبير أمام الأدباء أيام الاحتلال [13].

وقد مرت الكتابة النثرية في الجزائر حسب الباحث "أبو القاسم سعد الله" بعدة مراحل، تميزت المرحلة الأولى بتخلصها من الأسلوب المعروف بالترادف والسجع والاستشهاد بالشعر والعبارات المأثورة والعناية بالديباجة وقد انتهت بظهور جريدة "الشهاب" سنة 1925م [14].

بينما تميزت المرحلة الثانية بظهور معالم التجديد في الأدب الجزائري مع ميلاد وتطور الحركة الإصلاحية الجزائرية سنة 1925م، أين بدأ أسلوب السخرية ينمو ويتطور في سبيل مواجهة حملات التشويه والتزييف التي شنتها فرنسا على مقومات الهوية الوطنية، فوظفت السخرية باعتبارها أسلوبا يبتعد عن المباشرة في المواجهة ويتجنب العلنية في المقاومة، متناولا قضايا ومواضيع دينية واجتماعية وثقافية متصلة بالواقع المرير الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري آنذاك[15]، مثلتها صحف "جمعية العلماء المسلمين" على غرار "البصائر" التي وجدت بها نصوص تعريضية بالاستعمار الفرنسي عمل على توقيعها العديد من الكتاب من بينهم: الأمين العمودي، ومفدي زكريا، والبشير الابراهيمي، ومحمد السعيد الزاهري، وأحمد رضا حوحو، ما يدل على أن الكتابة الصحفية الساخرة كانت وسيلة مهمة للمقاومة في تلك الفترة.

اقتصرت الكتابة الساخرة -بعد الاستقلال- على المجال الأدبي فقط ولم تتعداه إلى المجال الصحفي كون الإعلام آنذاك عُدَّ من أهم قطاعات السيادة الوطنية، لذلك سُخرت مختلف الجرائد لبثِّ الأخبار والأفكار التي كانت لا تخرج

عن إطار تمجيد الثورة وأبطالها[16]، مُعبرة عن شرعية النظام السياسي في إطار الحزب الواحد [17].

والحجة في ذلك على حد تعبير الرئيس السابق "أحمد بن بلة" أنَّ استعادة السيادة الوطنية لابد أن يعقبها تحكم في مجال السياسة الإعلامية، هي ذات السمة ميزت الأدب الجزائري من خلال انتشار الأدب الاحتفائي بالثورة التحريرية الذي ساد المراحل الأولى من الاستقلال، ليتحول إلى خطاب نقدي رافض لما يحدث في الواقع خصوصا مع انتشار الآفات والأمراض الاجتماعية المتنوعة كالرشوة والمحسوبية والتعسف مثله كل من الكاتب السائحي الكبير وأبو العيد دودو [18].

عقب إقرار التعددية السياسية وظهور الصحافة الخاصة مطلع تسعينيات القرن الماضي، شهدت الكتابة الصحفية بالجزائر قفزة نوعية من خلال ظهور مجموعة من الصحف الساخرة لعل أشهرها "المنشار" و"الصح آفة"، التي حققت انتشارا واسعا رغم رفضها لنشر الإعلانات التجارية مكتفية بعائداتها من المبيعات، اتجهت تلك الجرائد نحو توظيف أنواعا مختلفة من فنون الكتابة الصحفية الساخرة [19].

واستخدامها للانتقاد الذي طال أعلى هرم في السلطة آنذاك، ليتم توقيفها بعد إلغاء المسار الانتخابي سنة 1992م، لأن المرحلة التي مرت بها الجزائر كانت لا تحتمل السخرية رغم حب القراء لها.أسفرت هذه المرحلة عن ظهور عدة أسماء مهمة في حقل الكتابة الصحفية الساخرة أمثال: عمار يزلي في "منامات"، وسعد بوعقبة في "نقطة نظام"، وحكيم لعلام في "طبّع معاهم"، وشوقي عماري في "نقطة الصفر"، إضافة إلى السعيد بن زرفـة في "قلة أدب" هي عبارة عن مجموعة من النصوص السردية الساخرة، التي نشرها عبر مختلف الصحف الوطنية كالشروق الثقافي واليومي، والجزائر نيوز، والأحرار الثقافي [20].

4/ أسباب فتور الكتابة الصحفية الساخرة في الجزائر:

اتسمت الكتابات الصحفية الساخرة في الجزائر بنوع من الفتور، كونها ارتبطت في بداية ظهورها بحركات التحرر ثم بالتوجه الاشتراكي ما جعلها أمْيل إلى الالتزام الصارم، الذي قد نأى بكتابها عن النقد الساخر للوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي... الأمر الذي جعلنا نتساءل عن الأسباب الحقيقية وراء هذا الغياب.

قد يعود السبب الأول حسب ما أوضحه الأديب "أمين الزاوي" إلى كون سيكولوجية الفرد الجزائري غير مرنة لذلك لم يتطور –حسب رأيه- هذا النوع من الكتابة مثلما حدث في كل من "مصر" و"تونس"، حيث لم تستطع أن تتحول الكتابات الأدبية الساخرة إلى مدرسة لها سياقاتها واتجاهاتها، في بلد شهد ميلاد أول رواية ساخرة في تاريخ البشرية [21].

أما السبب الثاني فقد يعود إلى كون الكتابة الصحفية الساخرة تقتضي موهبة فنية عالية يستطيع من خلالها الكاتب أن يُحول الكلمة الساخرة والنبرة المتهكمة واللفتة المضحكة إلى مواضع الخلل في سلوك الناس، بقَلْب الوضعيات وإظهار المفارقات غير المتوقعة قصد تحقيق الإصلاح والتقويم.بينما يعود السبب الثالث إلى الوضع الأمني والسياسي الوطني الذي ساد البلاد، بسبب التضييق على حرية الممارسة الصحفية، والنظر إلى الأسلوب الإبداعي الساخر على أنه تحريض ودعاية مغرضة، ما جعل السلطة الحاكمة تنتهج سياسة ردعية في التعامل معه [22].

يمكن أن يضاف إليها تراجع صحافة الرأي أمام صحافة الخبر والتواجد الكبير للرسم الكاريكاتيري.

5/ الدراسة التحليلية للعمود الصحفي الساخر منامات للكاتب عمار يزلي بجريدة الشروق اليومي:

تعتبر الكتابة الساخرة بأشكالها المختلفة من أقوى الأسلحة في التغيير الاجتماعي وحتى السياسي، لذلك تتجه الحكومات بصفة عامة نحو محاربتها خصوصا عندما تستمد سلطتها من الصحافة فتكون أكثر تأثيراً، فالكاتب الساخر في الدول التي لا تتمتع بقدر كاف من الحرية الصحافية يحتاج إلى الكثير من الحيل الكتابية لتمرير فكرته الساخرة، بينما يعاني الكاتب في الدول التي تتمتع بحريات صحافية جيدة من البحث عن حيل كتابية مبتكرة لتحقيق المفاجأة أو الصدمة، معتمدا في ذلك على ما يملكه من حس فكاهي وثقافة واسعة ومقدرة لغوية متميزة.

الجدول رقم (01) يمثل مواضيع العمود الساخر منامات بجريدة الشروق اليومي

جريدة الشروق / نوع الموضوع	ك	%
سياسي	10	40
اجتماعي	06	24
اقتصادي	05	20
ثقافي	02	08
تاريخي	02	08
المجموع	**25**	**100**

أولا/ مضامين العمود الساخر منامات بجريدة الشروق اليومي :

إن قارئ الكتابات الصحفية الساخرة لـ "عمار يزلي" يُلاحظ أنها تجمع العديد من القضايا التي تمس موضوع السياسة الوطنية على وجه الخصوص حيث جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 40٪، تلتها في المرتبة الثانية المواضيع الاجتماعية ثم الاقتصادية بنسب متقاربة قُدرت على التوالي بـ24٪ بالنسبة للأولى و20٪ بالنسبة للثانية، في حين جاءت المواضيع المرتبطة بالجانب الثقافي والتاريخي في المرتبة الثالثة بنسب متساوية قُدرت بـ08٪ في محاولة منه لتتبع الأحداث الوطنية ومسايرتها، معتمدا على السخرية كأساس متين انطلقت منه كتاباته الصحفية المتنوعة.

انصبت سخرية الكاتب من خلال أعمدته الصحفية التي نُشرت بجريدة "الشروق اليومي" خلال الفترة الممتدة من جانفي إلى مارس 2016م على قضية الفساد السياسي والأمني والمالي للسلطة وتأثيراتها السلبية على المواطن الجزائري البسيط، فهو من يتحمل معانات تبعات سياسة التقشف المتخذة من قبل الحكومة عندما قال: «...سندخل عالم الجمهورية الجزائرية المدنية التي ستعمل على ترسيخ التقشف بين الشعب وتحمله الأعباء التي تسببت فيها حكومتنا منذ الاستقلال وإلى اليوم!...» [(23)].

واصل الكاتب تهكمه من تلك السياسة عندما اعتبرها إجراءات تعسفية في حق المواطن، قد تؤدي به إلى القيام بردود أفعال عنيفة من شأنها أن تُفقد الدولة السيطرة على الوضع مثلما قال: «...العنف سيكون سيد الموقف إن لم تسارع "الإضارة" للتحكم العقلاني في إدارة الأزمة التي ستتولد عن هذه الجباية غير المدروسة من جيب المواطن...سيتطور الانجراف نحو الانحراف، وننقل الناس من حالة الإحرام إلى حالة الإجرام، وتتشكل جماعات الأشرار بدل الأخيار!!...الحكومة والبرلمان سيكونان في الأخير هما القط الذي أراد أن "يتنمر" فاستأسد عليهما الفار!...» [(24)].

لم تتوقف سخرية الكاتب عند هذا الحد بل امتدت إلى وصف سياسة الدولة بأنها فاشلة وخاطئة عندما قررت شراء "السِّلم الاجتماعي من دون نجاعة اقتصادية" عندما قال: «...ها هو الدينار يطيح، وها هو النفط يسيح، وها هي سياسة "الفصاد" تذهب أدراج الريح...تبذير الأموال وانشغال الشباب بمشاريع وهمية...والمواطن في مقدمة شهداء شهية الاستهلاك المهلك...» (25).

حتى تعود هذا الأخير أن يطالب بحقوقه بالضغط على الدولة التي تسارع في تلبيتها تهدئة للأوضاع الداخلية قدر الإمكان، غير أن الوضع تغير بانخفاض سعر البترول إذ لم يعد بإمكان الحكومة الاستمرار في سياستها المغلوطة حيث قال: «...فقد تعود المواطن أن يطالب بحقه وعودناه نحن على ذلك! و"قلشناه" كالطفل الذي ما إن يعوي أو يهم بالصراخ حتى يكون كل ما يطلبه ماثلا أمامه! الآن وقد اختلف الأمر ولم يعد للدولة ما تُعطي وما تمد...فقد يحرق المواطن نفسه لأن الدولة لم تُعطه عملا يليق به...» (26).

أردف الكاتب عدة مقاطع ساخرة وصف من خلالها سياسة الدولة العوجاء التي أدت بها إلى الاستنجاد بأئمة المساجد لتحسيس المواطن بالمخاطر المحدقة بالبلاد فما يخص ترشيد النفقات للخفض من المصاريف الملقاة على كاهلها، حيث جاءت سخريته لاذعة من المتسببين في ذلك احتوت على الكثير من الغمز واللمز كقوله: «...أيها الملاعين! مليون نتاع الضو؟ علاه أنا عندي وزنات نتاع حداد؟ راكم تشوفو في آآآربي..أنا هو ربراب؟! مليون هي نص الشهرية نتاعي تتبرعوا بيها على سونالغاز؟ والماء؟ راه عندي أنا "لابيسين أولمبيك نتاع شكيب خليل"؟ تدوشوا كل يوم؟ علاه فيكم الجرب؟ الصنان؟...» (27).

عند الانتقال إلى المضمون الاجتماعي يتضح لنا أن الكثير من أفكار الكاتب انطلقت من واقع الحياة الاجتماعية، من خلال كشفه لأوجه المفارقة والتناقض الذي ميز المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة، ما ميز كتاباته أنها كانت موحية التعبير، حاول من خلالها أن يسخر من الوضع الاجتماعي للموطن الجزائري الذي أدى به إلى الانسلاخ والابتعاد عن النقاشات السياسية

والأطروحات السلطوية فيما يخص الدستور، فالشأن السياسي لا يعنى الشعب لا من قريب ولا من بعيد، ما يهمه هو إيجاد حل لمشاكله اليومية من خلال قوله: «...وتفرغ مجبرا لحل مشاكله اليومية بطرقه الخاصة، في العائلة وفي المستشفى وفي الإدارة وفي الضمان الاجتماعي وفي النقل....والطلوع والهبوط والدوران في الفراغ حتى تُنهك قواه ويسقط ليلا مغشيا عليه من الهم ومكابدة السم، فكيف له أن يفكر ويناقش الدستور أو حتى يعرض عليه الاستفتاء؟!...» (28).

كما سخر الكاتب بطريقة غير مباشرة من المسؤولين الذين قاموا بمصادرة أبسط حقوق للمواطن كـ"توفير مراحيض عمومية في المدن" يستطيع من خلالها المتجول أو السائح أن يقضي حاجاته بكل احترام، جاءت سخريته اللاذعة في توليفة فكاهية هادفة تخفيفا لآلام المواطن ومعاناته اليومية عندما قال: «حذار أن تتجول في البلاد وأنت لا تحمل حفَّاظات للكبار، خاصة إذا كنت من "ذوي الحاجات"، لأنك لن تجد أين "تقضي حاجتك"..هذا ما يستنتجه المواطن السائح، والسائح غير المواطن، المدعوون رسميا من قبل وزارة السياحة وحكومة السياحة، لكي يسيحوا في الأرض...» وبعد مناقشة وتحليل الموضوع توصل الكاتب في النهاية إلى الإقرار بما يلي: «...أن "صاحب الحاجة من غير صلاة، لا يجد ملجأ إلا إلى المقهى أو المطعم أو..يدير ظهره للناس ويستقبل "حائط ..المبلى..» (29).

حاول الكاتب من جهة أخرى ممارسة السخرية والتهكم من عدة قضايا ارتبطت بحلول شهر مارس الذي ضم الكثير من الأعياد منها عيد المرأة، وعيد المعوقين، وعيد الشجرة إضافة إلى اليوم العالمي للتبرع بالدم...، مؤكدا على أن احتفالاتنا لا زالت لم تخرج عن إطارها الشكلي المناسباتي كانت سخريته من المرأة منصبة حول الوضع الذي آلت إليه من انسلاخ عن أصلها العربي والإسلامي وذوبانها في التحرر الغربي على الطريقة الأمريكية التي أدت بها إلى الاستعباد والاستغلال.

جاءت تلك السخرية في شكل حوار دار بين أمه وزوجة أخيه الفرنسية التي جاء بها إلى الجزائر حيث قال: «...ترد "جانيت" يخصك تتحرري من هذا الميزيرية. راني جبتلك جيبة وشال وسروال دجين! فيضحك أخي وتنهره أمي: تضحك آبارد القلب؟ واش راها تقول هذا المنحوسة.؟ فيقول لها ما قالت...نتحرر؟ حنا حررنا البلاد! حررنا بلادنا منكم ومن أمثالكم...لو ما جاني عيب حتى نعورك هاد العينين الزرقين نتاع لقطوطة المزعوطين! يا المصفارة...»، أكد الكاتب من خلال هذا العمود أن الجيل الجديد هو "جيل جانيت" المختلف كليا عن جيل أمهاتنا وجداتنا.

سخر الكاتب عند مناقشته لموضوع عيد المعاق وعيد الشجرة واليوم العالمي للتبرع بالدم، معتبرا إياها مناسبات جاءت لتحرك الجو الثقافي والاجتماعي في البلاد محملة بشعارات فارغة لا صلة لها بالواقع، الذي ازداد تأزما رغم استمرار الدولة في سياسة تحسين مستوى معيشة السكان، حيث مسَّت سخريته صلب المعاناة التي يتخبط فيها المواطن الجزائري البسيط عندما قال: «...تصورا مكاتب للمعوقين في الطابق الرابع والثالث..ومن دون مصعد! يطلع بالكرسي المتحرك مع الدروج.."ليتكركب" عند الهبوط؟!...»[30].

أما معاناته من الأمراض التي ابتلي بهـا فهي أنكى وأمر في ظل غياب التكـفل من قبل الدولة أو حتى من قبل المواطنين الذين "جفت قلوبهم وقست" جراء الظروف الاجتماعية القاسية التي يتخبطون فيها، فأصبح العمل الخيري لا يكون إلا بمقابل مادي أو معنوي، أو بأمر من السلطة أو صاحب قرار دون النظر إلى الحاجة الإنسانية وذلك من خلال قوله: «...قلت لجماعة في طابور طويل لست أدري على أي شباك يتطوبرون: "يا جماعة ربي يجازيكم، يخصني 5 أكياس دم "بي نيقتيف" وإلا لي كان برحمة الوالدين..بنت صغيرة راها تعاني"؟ الكل سكت قبل أن أعيد الكرة عليهم!....روح لكاش جامع! وينطق آخر: أما بعدة الفصيلة نتاعي ما توالمش! أنا جبروا عندي فصيلة دم جديدة "نفط نيقتيف"...» [31].

أما فيما يخص عيد الشجرة فالأمر سيان في الجزائر لا فرق بين الإنسان والشيء لأن الكل يعاني على طريقته، حيث قال: «...نمارس عنفنا الحضاري ضد الحضارة الطبيعية، شعبا ومسؤولين..غير مسؤولين ولا سائلين عنا ولا عنها!...» (32).

عند الانتقال إلى المواضيع الاقتصادية التي جاءت في المرتبة الثالثة من حيث الاهتمام، اتضح لنا أن سخرية الكاتب انصبت على السياسة الاقتصادية للدولة الجزائرية في ظل الأزمة الاقتصادية التي مستها جراء انخفاض سعر النفط حيث قال: «...كان كافيا أن يتدحرج سعر النفط إلى الأسفل، لكي يلغي سياسة دولة بكاملها طيلة خمسة عقود! لم نفكر يوما في الاستغناء يوما عن "ريح الغاز والنفط"، حتى إن الكثير منا صار يتساءل "هل النفط نعمة أم نقمة"؟...» (33).

وبدل من اعتماد الدولة على أنشطة ذات فاعلية ها هي تتجه نحو تطبيق قانون مالية جديد مع بداية عام 2016م يقوم على أساس تطبيق سياسة التقشف من خلال قوله: «...عندما صار سعر النفط في أدنى مستوياته، فزعنا، لنصرخ وندعو الشعب إلى التقشف والعمل وإلى "تزيار الحزامة"...» (34).

من خلال الزيادة في الأسعار وفرض الضرائب، إضافة إلى إلغاء التدعيم على عدة مواد والتزامات كانت مبرمجة من قبل...عبر الكاتب عن تلك الأفكار بتهكم صارخ وسخرية لاذعة معبراً بدلالات واضحة عن معاناة المواطن البسيط الوحيد من سيتحمل كل ذلك عندما قال: «...ما تتقشفش يا وحد المكشوف؟ شوف خوتك كي عريانين تبارك الله...أقلع الصباط وتمشي بالحفا خير ما راني نديك تقلع الحلفا!...أقلع التقاشر...زيد تقشف، خف! نزع معطفه..زيد أقلع القمجة...زيد تقشف: أقلع الحزامة، زيد السروال..أقلع التريكو نتاع اللحم..وعندك تاكله..تحسبه بصح لحم! زيد كمل خيرك...أقلع..تقشف مليح..تكشف الله يكشفك يا وحد المواطن! تقشف خير ما راني نكشفك قدام الناس..المكشوفين!...» (35).

غير أن المواطن الجزائري لم يكن يبالي بما يحاك له في مجالس السياسة، مشغول باحتفالات رأس السنة الجديدة من ذلك قوله: «...في الوقت الذي كان فيه الكثير يخرجون إلى الشوارع ليجاهروا بالسوء واحتساء الخمور والصخب والنخب على الرحب "احتفالا بقدوم سنة" ستجعل سراويلهم تهبط إلى الأسفل! في هذا الوقت بالذات كانت الزيادات تدخل فعليا على المواطن المشغول عقله بفرح "ذر الرماد في الأعين"!...» (36).

لم تتوقف سخرية الكاتب عند حد نقد السياسة الاقتصادية للدولة بل تجاوز ذلك إلى معالجة الحالة المتدنية التي وصلت إليها العملة الوطنية شكلا ومضمونا باعتبارها وجه الدولة، عندما قال: «...عملة "تشف" وتُخجل في نفس الوقت ويُشفق لحالها، حتى صار الكثير من التجار والناس يتهربون من التعامل بها، وكأن بها الجرب!...» (37).

كما استهدف بتهكماته اللاذعة انهيار قيمة العملة الوطنية من حيث قوتها المالية في السوق العالمية، حتى أن الدولة عاجزة عن صنعها بورق ذو نوعية جيدة لأنه سيكون أغلى من قيمتها من خلال قوله: «...نسوقها بعيوبها إلا من ورق جديد ربما، سيبلى بلاء سينا، بعد سنوات وتعود ربما إلى صورتها القديمة!...» (38).

القارئ لتلك الأعمدة الصحفية يُلاحظ أن الكاتب ركز على بعض الإشكالات الأساسية التي ترتبت عن الأزمة الاقتصادية، حيث تجلت سخريته من سياسة الدولة التي سمحت ببعض أصحاب المال "أوليغارشيات" من الدخول في دواليب السلطة والحكم، واستعمالها في زيادة ثرواتهم وأرباحهم من خلال أنشطة اقتصادية خاصة بهم واستفادتهم من صفقات ومناقصات الدولة دون غيرهم، وذلك في إطار فرض سياسة دعم المؤسسات والمنتوج الوطني، مثلما قال: «...هكذا، ستجد مجموعات المستثمرين المحظوظين سياسيا (المدعنون والمساندون)، تتغول اقتصاديا وسياسيا لتفرض نمط وطبيعة إنتاجها وذوقها...وتجد المواطن مخيرا بين "أحذية قدور" و"سراويل عبدقة"! لا غير! وهذا

بعد أن تُفرض ماركة "مصنوع في الجزائر" على المواطن المغلوب على أمره...» (39).

عند الانتقال إلى المواضيع الثقافية والتاريخية تبين لنا أن الكاتب "عمار يزلي" عالج بسخرية وتهكم العديد من الإشكالات الثقافية المرتبة عن حالة الفساد السياسي والمالي والأمني...للسلطة وتأثيراتها السلبية على مجالات حيوية في البلاد كالتعليم والاهتمام بالعلماء والمثقفين إضافة إلى التبعية الفكرية للمحتل...، جاءت تلك الأفكار تناسبا مع بعض الأحداث التي وقعت خلال – فترة الدراسة- كإحياء ذكرى 19 مارس وتصريحات وزير المجاهدين إضافة إلى وفاة أحد المفكرين الجزائريين...سخر الكاتب من حال المثقف في الجزائر الذي لا يكرم إلا بعد وفاته، عرضها في شكل ضمني احتوى على الكثير من التلميح الناقد للسياسة الوطنية خصوصا عند سرده للمنام حيث يقول الكاتب وهو نائم: «...نمت لأجد نفسي ممثلا للسلطة "ميرا" لبلدية مسقط رأس أديب ومثقف "عاش ما كسب، مات ما خلى" غير أنه ابتلي بممثل للسلطة مثلي لا يقل ولا يزيد عن "مير كرنفال في دشرة"!...» (40).

إن هذا الفساد السياسي هو الذي جر الجزائر –وفق ما طرحه الكاتب- إلى انعدام قيمة العلم والعمل بسبب الإصلاحات التعليمية الفاشلة المطبقة في الجزائر المعبرة عن التبعية للمحتل الذي احتل العقول بعد أن احتل الأرض من ذلك قوله: «...سوف نجد أنفسنا أمام الملايين الحاملين للدكتوراه لا تصلح حتى لإشعال مجمر النار...وسيكون هذا الجيش قادرا على غلق الوزارة والحكومة والجامعات كلها مطالبين بحقهم في التوظيف بالجامعات "من أجل تطوير التعليم العالي"..نحو الأسفل، وقد بدأنا نرى ذلك وسنرى أكثر!...».

بينما تجلت سخريته أكثر من خلال منامه حيث قال: «...غاروا مني ومنعوني من الدخول للتدريس في الجامعة، ماذا أفعل؟...خرجت وغلقت الجامعة مع أصحابي...حتى رضخت الوزارة وأمرت بإنجاح كل من يحمل ملفا مثل ملفي أو أقل! أما من عندهم ملف أكبر، فهربوا إلى الخارج، وأما القدماء

من الشيوخة البغولة ...فاستقالوا أو خرجوا تقاعد لكي يتركوا أماكنهم للجيل الجديد..جيل الجال..والراحة والمال..وقلة العلم..والأعمال...» [41].

ثانيا/ أهداف العمود الساخر منامات بجريدة الشروق اليومي:

الجدول رقم (02) يمثل أهداف العمود الساخر منامات بجريدة الشروق اليومي

جريدة الشروق / نوع الهدف	ك	%
النقد بهدف الإصلاح والتغيير الاجتماعي	08	32
محاولة التخفيف من آلام المواطن ومتاعبه	06	24
الرفع من مستوى وعي القارئ بأوضاعه	11	44
المجموع	**25**	**100**

يوضح الجدول رقم (02) أهداف العمود الساخر "منامات" بجريدة "الشروق اليومي" خلال فترة الدراسة، حيث تبين لنا أنه ركز أكثر على الرفع من مستوى وعي القارئ بأوضاعه المحيطة به بنسبة 44٪، تلاها في المرتبة الثانية الهدف المتمثل في نقد مختلف الأوضاع بنسبة قُدرت بـ32٪، بينما عادت المرتبة الثالثة لمحاولة التخفيف من آلام المواطن الجزائري البسيط ومتاعبه ومعاناته عن طريق معالجة بعض المواضيع بطريقة فكاهية تجعل القارئ يضحك من حاله حيث جاءت بنسبة 24٪.

استنادا إلى الدلالات الإحصائية الواردة في الجدول السابق تتلخص لنا أهم الأهداف التي سعى الكاتب الساخر إلى تحقيقها من خلال عموده "منامات"، أين ركز بشكل ملفت للانتباه على توعية القارئ الجزائري بأوضاعه المحيطة به، بتكوين وتعميق بعض المفاهيم والأفكار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية هادفة، وذلك من خلال العديد من المواضيع والكثير من المقاطع الساخرة الرامية إلى تعديل اتجاهه السلوكي إزاء ما يحدث من تناقضات لها انعكاسات سلبية على حياته الاجتماعية كقوله: «...التجار والمستوردون "فرعوا" الأسعار، رفعا منصوبا، غير مجرور! ...لا أحد ربح والكل خاسر مشكور! لكن ربح الأقلية فاضح، لأنه كان على حساب خسارة موت الأغلبية الجائعة...» (42).

لن تكتمل دائرة التوعية إلا من خلال النقد القائم على لفت الأنظار نحو الأوضاع غير المقبولة في المجتمع الجزائري من خلال تصوير الواقع والتعبير عن هموم المجتمع وتبيان أوجه الخلل والقصور الموجودة فيه عن طريق السخرية، بإثارة بعض القضايا السياسية الحساسة التي تحتاج إلى تلميح وتورية، يصعب فيها التصريح الذي لا يتناسب مع قوة النقد، وقد تجلى هذا الهدف في العديد من المواضيع والكثير من المقاطع نذكر منها على سبيل المثال: موضوع "إن تقبلوا نعانق!" كقوله: «...لقد حان موعد "تقليش" السياح الأوابق وبناء الفنادق...وهي عملية سهلة من أجل إدخال العملة الصعبة! ليستعمل كل واحد بيته وفراشه لاستقبال السائحات والسائحين...» (43).

إضافة إلى موضوع "الشعب المحقور" و"قانون الخارجين عنه"...، إن النقد الساخر الذي اتسمت به تلك المواضيع جاء بهدف التنفيس عن القارئ وليس بهدف التحريض له كقوله مثلا: «...أضرموا النار في الأسعار، متناسين ردة فعل "ليجون أندوجين"...».

حاولت الكتابات الساخرة –من جهة أخرى- التخفيف من حدة الآلام التي يتعرض لها المواطن الجزائري لتحقيق نوع من التعويض النفسي، وهو ما

يجعلنا نفهم لماذا تقبل الحكومات هذا النوع من الكتابة الساخرة طالما أنها قابعة في دور التنفيس، فإن تحولت عن هذا المسار وحملت همّ التغيير تم قمعها وإزالتها من الخارطة الصحفية مثلما حدث للصحافة الجزائرية الساخرة بداية فترة التعددية السياسية والإعلامية، وقد اتضح جليا هذا الهدف في بعض المواضيع كـ"المعذبون في الأوطان" إضافة إلى موضوع "خطبة أهل البيت"...وغيرهما.

حاول الكاتب مواساة المواطن البسيط من خلال شحن بعض المواضيع بالكثير من الفكاهة والضحك كقوله مثلا: «...أنا راه عندي لحنوشة ولفاعي ولّي كروكوديل" في الدار! غير اللحم والحوت والكفتة والمرقاز والهبرة والستيك؟....ما كاش حاجة أخرى ترهجوها؟ ما كاين لا لفت لا زرودية لا بصلة لا خرشف...لا طعام بالحليب لا دشيشة بالبن؟..اتقوا الله في ميزانية أبيكم!..ياو بدلوا شوية سيرتكم الاستهلاكية! الدينار راه ماشي ويطيح، والنفط ماشي ويرخس، وتويلوا أنتم هم الرخاس إذا زدتوا في طبائعكم هذه!...» (44).

ثالثا/ أسس ومبادئ العمود الساخر منامات بجريدة الشروق اليومي :

يمكن تحديد وإيجاز الأركان الأساسية التي بني عليها العمود الصحفي الساخر بجريدة "الشروق اليومي" من خلال عينة الدراسة في العناصر الآتية ذكرها:

1/ مبدأ مخالفة الواقع ولغة التماثل:

يقوم هذا المبدأ على تصوير الأشخاص والأماكن والأشياء عن طريق توظيف الجمل الاسمية والنعوت والتشبيهات والمقارنات والمفاضلات...، من الأساليب التي لجأ إليها الكاتب "عمار يزلي" يتجلى لنا:

1.1/ استعمال طريقة المقارنة: وظف الكاتب هذه الطريقة من خلال ضرب الأمثلة بين الجزائر والدول العربية، ليؤكد أن عدم دخول الجزائر في هذه اللعبة السياسية جنبها الكثير من تبعاتها السلبية من خلال قوله:«...الحمد لله أن

الجزائر فهمت اللعبة وعرفت كيف تنأى بنفسها عن هذيان طبول الحرب والتحالف العسكرية ضد "الإخوة" الأعداء...»....وغيرها.

2-1/ استعمال أسلوب المفاضلة: من خلال قوله: «...لكن النساء والعجائز عموما، لا يستطعن الدخول حتى إلى المساجد، لأن ليس كل المساجد مخصص فيها أجنحة وضوء النساء. فضلا عن الصلاة. (عكس ما نجد في المغرب مثلا، حيث تشاهد نساء شابات وعجائز، يدخلن المسجد عند كل آذان مثل الرجال لأداء الصلوات)...» وفي قوله كذلك: «...قلت لهم: في فرنسا، هذا ما يصراش، ولو كان يصرى، تقوم القيامة! قال لي آخر في نهاية الصف: رانا في الجزائر مش في فرنسا آآآمحمد!...»....وغيرها.

3-1/ استعمال أسلوب التصوير: كان ذلك من خلال وصف سياسة التقشف التي دعت إليها الحكومة الجزائرية وبرلمانها ونقاباتها بالإجراءات التعسفية في حق المواطن المغلوب على أمره، وقد كان ذلك في الكثير من المواضع كقوله مثلا: «....سياسة التقشف التي كشفت عن ساقي "الحكو-مات" المتعاقبة، وبدت سوءاتها للملأ، فسارعت لتغطيتها بورق التوت، ما وري عنا طيلة عهود....»....وغيرها.

4-1/ استعمال أسلوب الحوار: ظهر ذلك جليا من خلال موضوع "تكشف والناس تشوف"!، أين دار حوار بين ممثل للدولة مع مواطن بسيط من ذلك قوله: «...قال لي: وأنت شكون حتى تسولني واش نكون؟! قلت له: أنا لي نعريك ونكسيك، ونكفنك وندفنك..أنا مول التقشف يا وجه الخروف..المعع روف!...»، وكذلك من خلال موضوع "المعذبون في الأوطان" أين جاء المنام المسرود عبارة عن حوار دار بين وزير حقوق الإنسان ورئيس مصلحة التعذيب: من ذلك قوله: «...قلت لرئيس المصلحة في الهاتف: على بالي ما كانش التعذيب عندنا من بكري لليوم، لكن غير راني باغي نتحقق، قال لي: رانا متهليين فيهم "نوورمال"...»...وغيرهما كثير.

1-5/ استعمال أسلوب الخطابة: ظهر ذلك من خلال بعض المواضيع منها: "إن تُقبلوا نُعانق" و"خطبة أهل البيت"و...، يشعر القارئ من خلال هذا الأسلوب أن الكاتب يوجه له الكلام شخصيا ويشركه في التجربة كقوله مثلا: «...أيها الناس، إن الخزينة قد خنزت، وإن الدراهم قد كملت، وأسعار النفط قد "تفردخت"، والمداخل قد انكمشت، وسنوات "التفرشك" قد ذهبت...»، وكذلك من خلال قوله: «...لا سلام ولا كلام!..أما بعد: الله ينعل بوالراسة نتاعكم! الله ينعل جد المخير فيكم، أيها الملاعين!...»، جاء هذا الموضوع على خلفية توحيد خطب الجمعة من أجل تحسيس المواطن بالمخاطر المحدقة بالبلاد، وقد كانت في شكل خطبة ألقاها ولي على أفراد أسرته المتكونة من 12 شخصا، ضمت الكثير من السخرية اللاذعة بنوعيها الصريح والضمني.

2/ مبدأ المراوغة في اللغة واللفظة:

يقوم هذا المبدأ على المراوغة في اللغة والعبارات وحتى في الألفاظ، اتجه الكاتب نحو الاعتماد عليه في مواضع كثيرة من كتاباته الصحفية، محاولا من خلال ذلك تحقيق السخرية وإيصال الفكرة بطريقة طريفة إلى القارئ ظهر ذلك من خلال:

2-1/ استعمال المعاني الزائفة: من استعمالات السخرية تسمية المعاني تسمية زائفة أو معكوسة، وقد كان الكاتب "عمار يزلي" يضعها عادة بين مزدوجين أو قوسين، ومما ورد من ألفاظ السخرية في أعمدته –محل الدراسة– نجد كلمة "**فرعوا**" الأسعار **رفعا** منصوباً" جاءت تلك المراوغة في اللفظة بهدف تحقيق السخرية والتهكم للدلالة على الزيادة الكبيرة التي مست الأسعار.

2-2/ تكرار العبارات: تميزت الكتابات الصحفية الساخرة للكاتب بشيوع ظاهرة لغوية متمثلة في تكرار العبارات إما بلفظها أو مع تغيير وتصرف في لفظها، وعادة ما يكون التكرار بغرض التأكيد على المعنى والإلحاح على الفكرة كقوله: «...كل هذا بدعوى "**الحقرة**"! **الحقرة**! هذا **الغول** وهذا **الوباء** الذي صار يطارد

المواطن في كل مكان...»، وكذلك من خلال قوله: «...أم مع الثوار و**المقاومة** ضد نظام الأسد مهما كان نوع هذه **المقاومة**، نختار فيها مع من نقف: مع **مقاومة** مدعومة أمريكيا وسعوديا وعربيا وغربيا، أي **المقاومة** غير "الإسلامية"! أم نقف مع كل **مقاومة** لبعث البعث والتغيير...».

3/ مبدأ المبالغة والمفاجئة:

يقوم هذا المبدأ على المبالغة الذي تمس جوهر الموضوع الساخر، وعلى المفاجأة في الخاتمة كسر من أسرار نجاح الكتابة الساخرة، فكلما كانت **النهايات غير المتوقعة** كلما كانت أقوى وتركت تأثيراً كبيراً في قارئها من ذلك قوله:«...أفيق وقد ضربت فعلا زوجتي بتيمم عند رأسها، شققت لها وجهها شقا!.»، وكذلك من خلال قوله: «...وأفيق منكشفا..!.» وغيرهما كثير.

ارتبطت المبالغة في النماذج المحللة بنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي آلت إليها من ضعف وهوان، من خلال الإفراط في الوصف الباعث على الضحك، هادف إلى تحقيق غايات نبيلة ترمي إلى الإصلاح والتقويم والبناء [45].

من ذلك قوله: «...كل بيت صار فيه "شرجما" من الأحجار، حتى الصحون تُغسل بالتيمم، الشرب بالتيمم...»، جاءت هذه المبالغة للدلالة على سياسة التقشف التي تروج لها الحكومة وتفرضها على المواطن، وكذلك من خلال قوله: «...حذار أن تتجول في البلاد، وأنت لا تحمل حفاظات للكبار خاصة إذا كنت "من ذوي الحاجات" لأنك لن تجد أين "تقضي حاجاتك"...»، جاءت هذه المبالغة للدلالة على النقص الفادح للمراحيض العمومية بالجزائر.

4/ مبدأ استدعاء المعجم البلاغي:

يقوم هذا المبدأ على توظيف الصور والأساليب البيانية من استعارات وكنايات وتشبيهات، إضافة إلى المحسنات البديعية كالسجع والطباق والجناس...، تقوم هذه الأساليب على تخير اللفظ لتحقيق الإفهام من ذلك نجد:

4-1/ الاستعارات والكنايات: وظف الكاتب العديد من الاستعارات والكنايات للتعبير عن أفكاره الساخرة من الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي آلت إليه الجزائر، وقد حاولنا من خلال هذا العنصر أن نقدم بعض الأمثلة كقوله مثلا: «...حكومة التقشف الوطنية التي ستخرج الناس من **نور النفط إلى ظلمات الزلط**...» الأولى كناية عن امتلاء الخزينة العمومية أما الثانية فكناية عن ضعف الدخل الوطني، إضافة إلى قوله: «...الحكومة والبرلمان يكونان في الأخير هما **القط** الذي أراد أن "يتنمر" فاستأسد عليهما "**الفار**"...» حيث شبه الحكومة والبرلمان بالقط، وشبه المواطن الجزائري البسيط بالفأر على سبيل الاستعارة المكنية، في قوله كذلك: «...تقدمت **عجوز** كانت على وشك أن "**تفرغ الحاوية**"، فتركت تنورتها تنزل متخفية خلف الجدار...» استعارة دالة على سوء الوضع الاجتماعي للمواطن الجزائري، وفي قوله: «...أضرموا **النار** في **الأسعار**...» استعارة دالة على الغلاء...

4-2/ التشبيهات: ظهر ذلك من خلال العديد من الأمثلة نذكر منها قوله: «...قد تعود المواطن أن يطالب بحقه وعودناه على ذلك، و"قلشناه" **كـ**الطفل الذي ما إن يعوي أو يهم بالصراخ حتى يكون كل ما يطلبه ماثلا أمامه!...»، وفي قوله كذلك: «...فالحقرة صارت **كـ**السلاطة...مع أن الكل يعرف أن التعذيب والمساس بحريات وحقوق المواطن كانت **كـ**قهوة الصباح...»، إضافة إلى قوله:«...عملة "تشف" وتُخجل في نفس الوقت ويُشفق لحالها، حتى صار الكثير من التجار والناس يتهربون من التعامل بها، و**كأن** بها الجرب!...» وغيرها من التشبيهات الأخرى.

4-3/ المحسنات البديعية: اتجه الكاتب نحو توظيف العديد من الأمثلة الدالة على المحسنات البديعية، لذلك اتسمت أعمدته الصحفية الساخرة بخفة البلاغة وسنذكر بعض الأمثلة على كثرتها:

اتجه الكاتب نحو توظيف السجع بهدف تحقيق السخرية من خلال قوله: «...صارت تجارة **الأحجار في ازدهار...**»، و«...**عصابات تفرض الإتاوات**،

وتهدد بالسيوف والهراوات، والسبب هو الفقر بسبب الغلاء، وانخفاض المعاشات!...»، وكذلك من خلال قوله: «...ينتعمون به وأبناؤهم البررة في شكل ودائع ونفقات غير مبررة وخلصات مكررة وخزائن معمرة، وقصور مسورة وقناطير مقنطرة من الدولار والعملات المزورة وغر المزورة...»...وغيرها.

كما اتجه من جهة أخرى نحو توظيف الطباق بنوعيه: الإيجاب من خلال قوله: «...وتعا تشوف من **الرابح** ومن **الخاسر** المضرور...» وهو طباق بين اسمين، وكذلك من خلال قوله: «...أكثر مما يُراد لها إعلاميا أن **تُصلح الفساد**...» هو طباق بين فعل واسم، أما بالنسبة لطباق السلب فنجده في قوله: «...العملات **المزورة** و**غير المزورة**...»، كذلك من خلال قوله: «...كثير منهم اتهموا لأنهم **تكلموا**، ولكن كثير منهم **لم يتكلموا**، فأسقطت التهم عنهم...».

لم يستغن الكاتب في التعبير عن سخريته من توظيف المقابلة من خلال قوله: «...لكن **ربح الأقلية** فاضح، لأنه كان على حساب **خسارة** موت **الأغلبية** الجائعة...» هي مقابلة ما بين معنيين، كذلك من خلال قوله: «...لكن، يبدو أنه مع أزمة **غلاء** و**شراء الأكل**، لم نعد نفكر في **رخص** و**بيع** "**الفضلات**"...» هي مقابلة بين ثلاث معاني.

لم تخل الكتابات الساخرة لـ"عمار يزلي" من توظيف الجناس بنوعيه: الناقص من خلال في قوله: «...عملا بتوحيد **خطبة** الجمعة...وجدت نفسي أنخرط أنا الآخر في **خبطة** الجمعة...»، وفي قوله كذلك: «...وصلنا إلى مرحلة الشحاذة والشماتة، و**التوسل** و**التسول**...»، و«... لسرقة **المناصب** بالمال **المناسب**...»، وكذلك: «...سيتطور **الانجراف** نحو **الانحراف**، وننقل الناس من حالة **الإحرام** إلى حالة **الإجرام**...».

أما بالنسبة للجناس التام فقد ظهر في عدة مواضع منها: «...كما اقترحت خلق وزارات جديدة واستبدال **أخرى** بـ**أخرى**؟...» يقصد بالأولى:

الوزارات الحقيقية كوزارة الشؤون الدينية، وزارة الفلاحة...، أما الكلمة الثانية فيقصد بها الفساد الذي تغلغل في تلك الوزارات كقوله مثلا: وزارة الدين والتجارة (لأن المتاجرة بالدين صارت سلعة رائجة)، وزارة الطاقة والعمل (لأنه لا طاقة لنا على العمل)..وزارة الصناعة والشكارة وتعتمد على دعم أصحاب المال غير النظيف والسياسة الوسخة...»...وغيرها.

4-4/ الاقتباس والتضمين: يقوى تأثير السخرية عند استخدام الاقتباس بهدف التضمين لأنه يجعل النص الساخر أقرب للفهم ويعطيه مرونة وسهولة، وقد ظهر ذلك من خلال قوله: «...فإن يُقبلوا نعانق، ونفرش النمارق! وإن يُدبروا نُفارق، فراقاً غير وابق!...» وجه هذا الخطاب للسياح والأجانب على ضوء سياسة تشجيع السياحة لإدخال العملة الصعبة إلى الجزائر، كما وظف إلى جانب ذلك بعض الأمثال الشعبية منها: الصامط يغلب القبيح، عاش ما كسب مات ما خلى...وغيرها.

4-5/ التناص: استطاع الكاتب "عمار يزلي" أن يفتح نصوصه الصحفية الساخرة على تجارب فنية سابقة ومجالات معرفية متنوعة تدخل ضمن الموروث الثقافي والإبداع الإنساني، فيكون بذلك حقلا معرفيا ونسيجا ثقافيا يصعب تفكيك خيوطه التي حيكت وساهمت في إنشاء بنيته الإنشائية والدلالية [46].

من ذلك نجد التناص السينمائي من خلال موضوع "قانون الخارجين عنه" المقتبس من الفيلم السينمائي الجزائري "خارجون عن القانون (*)لمخرجه "رشيد بوشارب"، الرسالة التي أراد إيصالها إلى القارئ مفادها أن التعديل الدستوري الجديد إضافة إلى سياسة التقشف التي اختارتها الحكومة للتعامل مع الوضع الراهن ما هي إلا سياسة تحريضية على العنف بظهور عصابات للسرقة والاعتداء على الناس.

كما ظهر التناص السنمائي كذلك من خلال موضوع "جنازة مثقف كتب وما كسب"، استشهد الكاتب لتحقيق سخريته من الوضع الثقافي الجزائري بفيلم

"كرنفال في دشرة (*)من خلال قوله:«... غير أنه ابتلي بمثل للسلطة مثلي لا يقل ولا يزيد عن "مير كرنفال في دشرة"!...كنت أؤدي دور "عثمان عريوات"...»...، وظف الكاتب إضافة إلى ذلك التناص التاريخي من خلال قوله: «...دخول هذه الأنظمة في تسابق دق طبول "داحس" ضد "داعش"، ثم "الغبراء" ضد "إيران" ليحيل ذكرتنا إلى قصة الحرب الدامية التي دارت بين قبيلتي "عبس وذبيان" ودامت أربعين عاما، أما التناص الأدبي فظهر من خلال قوله: «...إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب...» ربط هذا القول بعدم رد "شكيب خليل" وتفضيله الصمت عندما اتهم بالسرقة....وغيرها.

5/ مبدأ قلب المعنى:

يقوم هذا المبدأ على التورية من خلال التلاعب بالألفاظ، حيث يستخدم اللفظ المفرد في موضع يدل فيه على معناه الأصلي وعلى معنى آخر ينبع من السياق [47].

مبينا عبقرية الكاتب الساخر الذي يستعمل ألفاظا تعنى شيئا ما بالنسبة إليه وشيئا آخر بالنسبة للآخرين كقوله مثلا: «...الكل يُنكر رغم أن البعض قد بدأ بإخراج لسانه من بين شدقيه ليتهم هذا الطرف أو ذاك بممارسة هذا الفعل المخل **بالحياة**، بسبب آراء الناس أو ميولهم الأيديولوجية أو السياسية أو الدينية أو العرقية...».

تكمن التورية في كلمة "**الحياة**" التي تحمل معنى قريب هو العيش أما بالنسبة لمعناها البعيد الذي أراده الكاتب فهو التعذيب، جاء هذا الموضوع على خلفية الحوار الذي دار بين "خالد نزار" وبتشين حول اتعذيب في الجزائر، ظهرت تورية الكاتب كذلك من خلال قوله: «...بعدما أذهب الله عنها بجبوحة العيش الرغيد من عائدات "**ريح**" النفط العتيد!...»، معناها القريب هي السهولة أما المعنى البعيد فتتمثل في مداخيل الدولة القائمة على النفط.

رابعا/ أساليب السخرية الموظفة في العمود الصحفي منامات بجريدة الشروق اليومي :

سيتم من خلال هذا العنصر الكشف عن الأساليب الساخرة التي أفرزتها الكتابة الصحفية لدى "عمار يزلي" من خلال عموده "منامات" تعبيرا منه عن اهتمامه بقضايا المجتمع الجزائري:

1/ الأساليب الإنشائية: اتجه الكاتب نحو الاعتماد عليها بهدف تحقيق السخرية من المسؤولين الذين كانت لهم اليد في تعفن الوضع بالجزائر، وقد تجلى لنا استخدام أسلوب الاستفهام في قوله:«...مليون نتاع الضو؟ علاه أنا عندي وزنات نتاع حداد؟..والماء؟ راه عندي "لا بيسبن أولبيك نتاع شكيب خليل"؟...»، وأسلوب الأمر في قوله:«...أجمعوا أنفسكم وتوكلوا على الله وشمروا على سواويلكم وقمائجكم وعباءاتكم وتوكلوا على أرواحكم...»، وكذلك من خلال قوله:«...أقلع...تقشف مليح..تكشف الله يكشفك يا وحد المواطن! تقشف خير ما راني نكشفك قدام الناس..المكشوفين!...».

أما بالنسبة لأسلوب التعجب فقد ظهر من خلال قوله: «...تصورا مكاتب للمعوقين في الطابق الرابع..والثالث...من دون مصعد!...»، بينما استخدم أسلوب النداء من خلال قوله: «...ياو بدلوا شوية سيرتكم الاستهلاكية!...»....إن استعمال تلك الأساليب الإنشائية بطريقة ساخرة ما هو إلا انعكاس لحالة نفسية متذمرة من الواقع الذي يعيشه المواطن الجزائري، إضافة إلى حالة الإحباط التي يشعر بها وهو يجد نفسه في موقف المراقب المقيد الذي لا يستطيع أن يُغير شيئا.

2/ أسلوب التعريض: يعد هذا الأسلوب من أشهر أنواع السخرية، إذ يعتمد على التعبير غير المباشر واللعب بالمعاني من غير أن يكون بينها تلاؤم مشروط[48]، يوفر هذا النوع من الأساليب جمالية في التعبير وطرافة في القول، ظهر ذلك من خلال قوله: «...أقف على المنبر وأرفع صوت مكبر الصوت المنفر، إلى أعلى مستوى حتى يسمع صوتي من كان في أذنه وقر أو كان ميتا منذ دهر، أو مريضا

في حالة كوما منذ شهر...»، إضافة إلى قوله: «...نعري كل مبذر يأكل ليشبع، أو يلبس فلا يخلع أو يشرب فيجرع أو ينام فلا "ينخلع"!...» للدلالة على خطاب الدولة الذي يدعو المواطن إلى ضرورة ترشيد النفقات.

3/ أسلوب المفارقة: ترتكز الكتابات الصحفية الساخرة من خلال النماذج المقدمة على المفارقة، وهو ما يجعلها تنفتح على العديد من الدلالات التي تحيل القارئ إلى معاني متخفية، تقوم المفارقة على تقنية التلاعب بالألفاظ بإعطائها معاني غير متوقعة [49].

تبين ذلك من خلال قوله: «...نأتي إلى مصير الجامعة بعد تعميم "**الآلام دي**"...» للدلالة على أن سياسة الإصلاحات بالجزائر كانت دوما مرتبطة بفرنسا وهي ليست بالضرورة صالحة لاقتصاد بلادنا، إضافة إلى قوله: «...مزقت الصك إربا إربا وخرجت ألعن فرنسا بنت الكلب التي خرجت ولم تعد!...» هنا استخدم الكاتب المدح بما يشبه الذم.

ظهرت المفارقة بشكل جلي في عناوين النصوص –محل الدراسة–، هي ذات أهمية كبيرة لأنها مفتاح الدخول إلى النص، وفهم ما غمض منه [50]، ما ميز تلك العناوين أنها تضم الكثير من الغرابة والخروج عن المألوف، ذلك أنها تتشكل من وحدات دلالية متنافرة قد تثير الغموض، الذي لا يتضح أحيانا إلا من خلال قراءة النص كاملا، فنجد على سبيل المثال: "قانون الخارجين عنه"، و"التكيف مع الدخان"، "إذا غاب الماء حضر التيمم"، و"جداريات ذوي الحاجات"، و"رئيس للبيع"، و"السكوت علامات الردة"...وغيرها كثير.

4/ أسلوب التنكيت والتندر: هو أن تقصد شيئا دون أشياء لمعنى من المعاني، ولولا وجود النكتة لكان خطأ من الكلام وفسادا في النقد [51] لجأ إليه الكاتب بهدف تحقيق سخرية مرحة للتخلص من الغيظ الذي ملأ قلبه، فمزج نقده بروح مرحة وأسلوب شيِّق كقوله مثلا: «...نمت لأجد نفسي "ديكا" (ميرا معينا غير منتخب بعد 91)، أكرم من طرف سراديك ودجاجات خم مجاور! لقد أقاموا لي

حفلا لأني خرجت في تقاعد ثم في تعاقد مع شركة أمنية...تحولت من ديك إلى ديك هندي ثم "فوتور"! أخذت سكنا وفيلا وأرضا زراعية...كنت قبل أن أتديك مجرد فلُّوس بلا فلوس، عاطل عن العمل...».

5/ أسلوب التبكيت: يعتمد هذا الأسلوب على التلميح والإشارة والرمز من خلال اللجوء إلى التعبيرات والجمل اللاذعة [52]، وظفها الكاتب "عمار يزلي" لنقد بعض الشخصيات السياسة المهمة في المجتمع، معتمدا على تقنية التلاعب بالغة وهو ما جعل أسلوبه متميزا، كما أن للسياق دور مهم وفعال في إدراك معنى السخرية القائمة على المفارقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، مثلما جاء في كقوله: «...واليوم كرموني لأني "تقاعدت" بالجميع وقلت لهم: سأخرج في تقاعد قبل أن أصير مقعدا، قاعدا على كرسي متحرك!...»، استهدف بنقده الرئيس الجزائري.

6/ أسلوب المناداة بالألقاب: يُعد هذا الأسلوب من أقدم صور السخرية حيث يُستعمل فيه أسماء الحيوانات كألقاب للأشخاص [53].

تبين ذلك من خلال قوله: «...أيها المواطنون الأعزاء، يا فراخي ويا جرائي ويا أنانيش وسلالة الكانيش، ودجاج بلا ريش، وزواحف باحثة عن العيش...» جاء هذا المقطع للدلالة على السخرية من الرئيس المصري "السيسي" الذي كاد ن يبكي على مصر من الضياع.

7/ استعمال الإيجاز والجمل المعترضة: الإيجاز هو اللمح والاقتصاد في الكلام والحد من الترادف فتكون روح السخرية في الإيجاز البليغ الذي يخفي النقد اللاذع بذكاء [54].

كقوله مثلا: «...مصيبة! تتعذب حتى في إخراج أموالك!...»، قوله كذلك: «...العمود الفقري يؤلمني: آآي التعذيب عندنا، ممارسة يومية، غير ما يبانش...» اتسمت تلك المقاطع بالغمز واللمز والهمز الممزوجة مع الفكاهة للدلالة على أن السخرية الموظفة من قبل الكاتب هي وسيلة لا غاية في ذاتها.

خامسا/ البناء الفني واللغوي للعمود الساخر منامات بجريدة الشروق اليومي :

تؤدي اللغة دورا كبيرا في التعريف بمعنى ودلالات الرموز والإشارات المتبادلة بين المصدر والمتلقي أثناء القيام بالعملية الاتصالية، إذ تُعد تلك الرموز بمثابة منبهات يُطلقها المرسل من أجل تحقيق استجابات معينة ينشدها لدى المستقبل [55].

على هذا الأساس لابد من التأكيد في هذا المقام على أن اللغة هي الأداة الأهم في الأدب عموما والكتابة الصحفية الساخرة على وجه الخصوص، وسيتم من خلال هذا العنصر إبراز أهم الظواهر اللغوية والتعبيرية التي تشير إلى الأسلوب اللغوي لهذا الكاتب من خلال عموده الصحفي "منامات":

1/ مقدمة العمود الساخر:

بالنظر إلى البناء الفني العام للعمود الصحفي "منامات" يتضح لنا أنه مقسم من الناحية الفنية إلى ثلاثة أجزاء متخذا شكل الهرم المعتدل متمثلا في "المقدمة والجسم والخاتمة"، اتسمت بدايات الأعمدة عموما بفكرة محدودة عرض من خلالها الكاتب رأيه حول خبر من الأخبار المعروفة مُسبقا لدى القراء كقوله مثلا: «...عملا بتوحيد خطبة الجمعة من أجل تحسيس المواطن بالمخاطر المحدقة بالبلاد، التي نفذها أئمة الجهاز التنفيذي قبل يومين...»...وغيرها.

عند الانتقال إلى اللغة التي ميزت مقدمة الأعمدة الساخرة يتضح لنا أنها كانت ذات "لغة إعلامية بسيطة"، حاول من خلالها الكاتب عرض الخبر من وجهة نظره الخاصة، كانت ألفاظها وكلماتها عموما ذات دلالات ومعاني حقيقية مثلما جاء في المثال السابق، أما بالنسبة لأسلوبها فقد كان بسيطا وواضحا بعيدا عن التكلف والغموض كونه موجه لجميع فئات الجمهور.

2/ جسم العمود الساخر:

واصل الكاتب -من خلال جسم العمود- التفصيل في أفكاره عبر الإتيان بالأمثلة والشواهد والأدلة، جاءت في عمومها على شكل منام بدأه الكاتب بعبارة "نمت لأجد نفسي" كقوله مثلا: «...نمت لأجد نفسي أحاور آخر مجاهد "طايوان"، لا يعترف بهذا النعت لأنه لا يزال "مسعولا"...»....وغيرها.

الملاحظ أن اللغة التي كتب بها جسم العمود كانت بلغة دارجة ملتصقة بالحياة اليومية للمواطن الجزائري، ذلك أنها أكثر استيعابا لفن الكوميديا ولروح الفكاهة والسخرية، أما بالنسبة للأسلوب فقد كان واضح المقصد لأن الألفاظ الشعبية التي كان يستخدمها الكاتب في سرد المنام لا تحتاج إلى معجم لفهمها ومعرفة معانيها، غير أنها اتسمت من ناحية أخرى بالتلغيز القائم على أسلوب التضمين والتلميح كقوله مثلا: «...نمت لأجد نفسي "مسؤولا كثيرا" ورجل "كثير" وقموقوم ومقلة "كثيرة"! وزني كشكارة، صادفت وأنا "أتكركب" من المرسيدس آخر "ظزاز"، ببطني الذي باطنه كظاهره، وسروالي الممزق من فرط السمن من الخلف، كفتحة ظاهرة في آخره...»...وغيرها.

خاتمة العمود الساخر:

أما بالنسبة للخاتمة فقد كانت موجزة تحتوي على عنصر المفاجأة والتضمين الذي يجعلك تحس بالطرافة والمتعة عند قراءتها، وظف لها الكاتب لفظة "أفيق" من ذلك قوله: «...وأفيق وأنا أضحك من روحي!» أو كقوله: «...وأفيق وأنا أمضغ علكة منذ 1962م!»، اتسم أسلوب لغتها بالمباشرة أحيانا والتضمين أحيانا أخرى كما تبين في المثالين السابقين.

هذه باختصار أهم السمات الفنية واللغوية الخاصة بالكتابة الصحفية الساخرة لدى "عمار يزلي" من خلال عموده "منامات"، والتي من شأنها أن تفتح عدة مستويات لقراءتها وفهم مضامينها من قبل المتلقي على حد تعبير كاتبها الذي أكد بأنها تضم ثلاث مستويات للقراءة:

1/ المستوى الأول: هو عبارة عن كتابة مبسطة يقرأها ذوي المستويات الثقافية البسيطة، يجد فيها القارئ متعة الإضحاك.

2/ المستوى الثاني: يتمثل هذا المستوى في القراءة ما بين السطور، وهو يتطلب من القارئ أن يتمتع بمستوى ثقافي يسمح له من معرفة الإحالات السيميائية والروابط الدلالية الموظفة.

3/ المستوى الثالث: يرى فيه الكاتب أن جمهور هذا المستوى نخبوي، بإمكانه قراءة الدلالات وفك الشيفرات التي يتضمنها النص [56].

خـاتمـة:

حققت الأعمدة التي أجري عليها التحليل درجة كبيرة من السخرية، وتوسلت بأدوات فنية ولغوية للوصول إلى أهداف متنوعة، منها ما تعلق بالنقد ومنها ما تعلق بتوعية المواطن الجزائري البسيط والتخفيف من آلامه اليومية عن طريق توظيف الفكاهة والضحك، وبعد القيام بالدراسة والتحليل تم التوصل إلى مجموعة من النتائج نوجزها في العناصر الآتية ذكرها:

1/ تميزت الأعمدة الساخرة "منامات" لكاتبها "عمار يزلي" بحسن اختيار الموضوعات والصور التي تستحق التوقف عندها والسخرية منها والتهكم بها، عن طريق تجسيم العيوب وتضخيم النقائص والاختلالات المنتشرة في المجتمع الجزائري، تصدرتها الموضوعات السياسية ثم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، جاء هذا الاهتمام على ضوء ما عرفته الجزائر من تراجع كبير لأسعار النفط بدءا من سنة 2014م، ما أدى بها إلى وضع مخططات استعجالية تستطيع من خلالها تجاوز هذه المرحلة الحساسة، وقد بُدِء في تطبيقها سنة 2016م، لتجد أمامها قلما ساخرا حاك حبره لإظهار النقائص والزلات التي لم يتكبد معاناتها سوى المواطن الجزائري البسيط.

2/ لم تخل تلك الأعمدة الساخرة من دقة التوجه وبراعة الوصف والتصوير، فهو يُشبه رسام الكاريكاتير الماهر في حُسن التقاطه لتلك الزاوية من الموضوع، أو ذلك الركن من أركان القضية، ثم يتوجه إليها بقلمه ليصورها في براعة من حيث التجسيم والتكبير والمغالاة، موظفا لذلك لغة واقعية تعكس مقدرته الأدبية والصحفية معا.

3/ تميزت الأعمدة الساخرة لـ"عمار يزلي" -كذلك- بتوفرها على عنصر الضحك والكوميديا، غير أنها كانت متشابكة مع أهداف أخرى، فالضحك عنده أسلوب ووسيلة، لأنه نوع من النقد الاجتماعي الهادف إلى تحقيق الإصلاح والتوعية والتوجيه، معتمدا في الكثير من الأحيان على التلميح الهادف أو

التعريض اللاذع، مما جعلها تأخذ طابع المعالجات الفكرية التي تسمو- في جوهرها- عن الضحك الفارغ، فالتفكه عند هذا الكاتب ناتج عن وعي بمشكلات المجتمع وليس عن شعور مكبوت يعبر عنه خفية أو لا إراديا.

4/ اعتمدت سخرية الكاتب "عمار يزلي" على عدة أسس ومبادئ كمبدأ مخالفة الواقع ولغة التماثل إضافة إلى مبدأ المراوغة في اللغة واللفظة، وقلب المعنى، واستدعاء المعجم البلاغي...، ساهمت جميعها في حسن اختيار اللحظة التي تُقدم فيها جوانب النقد المباشر والفكاهة المبطنة، ما يُعين القارئ على الفهم السريع والاستمتاع بأعمدته الكاريكاتيرية، مُعبرة بذلك عن خفة ظله في سرد حيثيات مناماته وفي تقديم نهاياتها.

5/ وظف الكاتب لبلوغ غايته الساخرة عدة أساليب البلاغية وفنية كالتعريض والمفارقة والتنكيت والتبكيت والمناداة بالألقاب، إضافة إلى الإيجاز والأسلوب الإنشائي من استفهام وتعجب وأمر...، حيث كانت ذات فاعلية في تحقيق سخريته من الظواهر السلبية مجسدة لآلامه ومعاناته، استغلها الكاتب لتكثيف الدلالة الصورية لدى القارئ.

6/ احتوت الكتابات الساخرة "لعمار يزلي" من خلال عموده "مناميات" على مواقف تصويرية للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية الجزائرية، باستخدام لغة سهلة ومفهومة بعيدة عن الغموض، بحيث كانت كلماتها واضحة المقصد أحيانا وإيحائية أحيانا أخرى، جاءت ممزوجة بين الإعلامية البسيطة والعامية الدارجة، بطريقة استطاع من خلالها إيصال فكرته بشكل أحسن للقارئ، أما بالنسبة لأسلوبه فلم يمل إلى الغلو والإكثار من الكلمات النابية أو العويصة بل امتاز بالإيجاز والوضوح، كما كان بديعا في الوقت ذاته ضم توقيعا صوتيا وتعادلا موسيقيا بين ألفاظه وعباراته ومقابلاته.

نؤكد في الأخير أن الكتابات الصحفية الساخرة لـ"عمار يزلي" استطاعت أن تحمل رؤى وأفكارا جديدة، خاصة وأنها حاولت كسر الحواجز وفضح

التجاوزات والانتهاكات الحاصلة في المجتمع الجزائري، لم تكن تلك الكتابات مقيدة بمعجم خاص بل حاولت أن تخرج عن المنطق والمألوف، لأنها كانت تمثل لغة جديدة اختارها الكاتب ليجعلها أسلوبه الخاص في الكتابة والتأليف، لا لأجل التـأثير في القارئ فحسب بل كذلك لتوفير المتعة النفسية وتحقيق عملية الإبداع والإقناع والإمتاع في آن واحد.

❖ هوامش البحث:

*أ.د. عمار يزلي: من مواليد ولاية تلمسان سنة 1955، كاتب ومبدع في مجال القصة والنقد السوسيولوجي والمسرح، نشر عدة أعمال إبداعية وكتب المئات من المقالات في الأدب والنقد الاجتماعي والثقافي والفكري، يشغل حاليا منصب رئيس قسم علوم الإعلام والاتصال بجامعة وهران، يحمل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع الثقافي، وله رتبة أستاذ التعليم العالي في قسم علم الاجتماع بنفس الجامعة، عرف بكتاباته الصحفية الساخرة وبمساهماته في الحقل الفكري والمعرفي، وبمشاركاته في العديد من اللقاءات العلمية الوطنية والدولية...يكتب في صمت..بعيدا عن الأضواء..وعن الطموحات غير العلمية.

*شغل الكاتب "عمار يزلي" رئيس تحرير أسبوعية "الصح آفة" سنة 1991م، كما كان له عمود بعنوان "سرك عمار" ينشره في الصفحة الأخيرة من هذه الجريدة، كان مليئا بالسخرية اللاذعة المستوحاة من مواقف خيالية مست الجانب السياسي بشكل كبير، كما كتب مسرحية "منامات الوهراني" سنة 1991م للمسرح الجهوي بوهران.

(1) ذوقان عبيدات و سهيلة أبو السميد: **البحث العلمي –البحث النوعي والبحث الكمي–**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002، ص 95.

(2) محمد عبد الحميد:بحوث الصحافة، عالم الكتب، القاهرة، 1992، ص76.

(3) سامية محمد جابر: **منهجيات البحث الاجتماعي والإعلامي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 276.

*يمثل نشر أول عمود صحفي ساخر للكاتب "عمار يزلي" بجريدة "الشروق اليومي" خلال سنة 2016م.

(4) GRAWITZ, MADELEINE, *Méthodes des sciences sociales*, 10e éd., Paris, Dalloz, 1996, p. 551.

(5) إجلال خليفة: **اتجاهات حديثة فن التحرير الصحفي**، القاهرة، 1972، ص15.

(6) نزار عبد الله خليل الضمور: السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص16.

(7) سامية مشتوب: **السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة**، مذكرة ماجستير غير منشورة في تحليل الخطاب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، الجزائر، 2011، ص08.

(8) حمو الحاج ذهبية: **البعد التداولي للسخرية في الخطاب القصصي الجزائري**، مجلة الأثر، ع17، جانفي 2013، ص17.

(9) محمد ناصر بوحجام: **السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925-1962)** جمعية التراث غرداية، الجزائر، 2004، ص32.

(10) محمد منير حجاب: **الموسوعة الإعلامية، دار الفجر للنشر والتوزيع**، المجلد السادس، القاهرة، 2003، ص2004.

(11) عبد اللطيف حمزة: **المدخل في فن التحرير الصحفي**، دار الفكر العربي، مصر، دس، ط4، ص252.

*العمل عبارة عن رواية نوميدية ساخرة لصاحبها "أبوليوس" ابن منطقة الجزائر، تدور أحداثها حول السحر ومحاورة الكائنات الغريبة، تحكي بشكل أساسي قصة إنسان يهتم بالسحر ويحب أن يتحول إلى طير إلا أنه تحول إلى حمار وفي النهاية يعود إلى صورته الآدمية. أنظر: سامية مشتوب: السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، مرجع سابق، ص55.

(12) جريدة الشعب: 19 أكتوبر 2015، ع16854، ص11.

(13) عبد الله الركيبي: **تطور النثر الجزائري الحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ط02، ص134.

(14) أبو القاسم سعد الله: **دراسات في الأدب العربي الحديث**، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، تونس والجزائر، 1985، ط03، ص ص87، 88.

(15) محمد عبد الناصر بوحجام: السخرية في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص85.

(16) إسماعيل معراف قالية: **الإعلام حقائق وأبعاد**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص42.

(17) رولان كايرول: **الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية**، ترجمة محمد مرسلي: سلسلة المجتمع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص17.

(18) سامية مشتوب: **السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة**، مرجع سابق، ص25.

(19) كريمة عرامة: **الصحافة الساخرة في الجزائر وضوابطها الأخلاقية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم الدعوة والإعلام، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1998، ص173.

(20) جريدة الشعب: مرجع سابق، ص11.

(21) http://www.elhayatonline.net/article16714.html, consulté le 27 Avril 2016, à 11:15.

(22) جريدة الشعب: مرجع سابق، ص-ص11-13

(23) جريدة الشروق: الخميس 04 فيفري 2016، ع4999، حكومة الجمهورية الجديدة، ص24.

(24) جريدة الشروق: الأحد 10 جانفي 2016،ع 4974، قانون الخارجين عنه، ص24.

(25) جريدة الشروق: الأحد 17 جانفي 2016، ع 4981، إن تُقبلوا نعانق، ص24.

(26) جريدة الشروق: الأحد 21 فيفري 2016، ع5016، الشعب المحقور، ص24.

(27) جريدة الشروق: الخميس 03 مارس 2016، ع5027، جداريات ذوي الحاجات، ص24.

(28) جريدة الشروق: الأحد 27 مارس 2016، ع5051، خطبة أهل البيت، ص24.

(29) جريدة الشروق: الخميس 21 جانفي 2016، ع4985، الأطرش في الزفة، ص24.

(30) جريدة الشروق: الخميس 03 مارس 2016، ع5027، جداريات ذوي الحاجات، ص24.

(31) جريدة الشروق: الخميس 10 مارس 2016، ع5034، السكوت علامة "الردة"، ص24.

(32) جريدة الشروق: الخميس 31 مارس 2016، ع 5055، فدمدم عليهم بذنبهم، ص24.

(33) جريدة الشروق: الأحد 13 مارس 2016، ع 5037، "التكيف" مع الدخان، ص24.

(34) جريدة الشروق: الأحد 14 فيفري 2016، ع 5009، حج البيت..من البيت!، ص24.

(35) جريدة الشروق: المرجع السابق.

(36) جريدة الشروق: الخميس 25 فيفري 2016، ع 5020، "التكشف" والناس تشوف!، ص24.

(37) جريدة الشروق: الأحد 03 جانفي 2016، ع 4967، غلاء الرخس!، ص24.

(38) جريدة الشروق: الخميس 18 فيفري 2016، ع 5012، سيدهم "الرخيص"، ص24.

(39) المرجع السابق.

(40) جريدة الشروق: الأحد 24 جانفي 2016، ع 4988، تعميم الخصاصة!، ص24.

(41) جريدة الشروق: الخميس 07 جانفي 2016، ع 4971، جنازة مثقف كتب وما كسب، ص24.

(42) جريدة الشروق: الخميس 28 جانفي 2016، ع 4992، فاشهدوا...!، ص24.

(43) جريدة الشروق: 10 جانفي 2016، قانون الخارجين عنه، مرجع سابق.

(44) جريدة الشروق: 17 جانفي 2016، إن تقبلوا نعانق، مرجع سابق

(45) جريدة الشروق: 27 مارس 2016، خطبة أهل البيت، مرجع سابق.

(46) أبو عيسى فتحي محمد عوض: الفكاهة في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969، ص203.

(47) جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر العربي المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، دار هومه، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، دت، 231.

*خارجون عن القانون(Hors La Loi): فيلم دراما جزائري من إخراج رشيد بوشارب، وهو تابع لفيلمه الأول أنديجان، وتدور أحداث القصة بين 1945 و1962 ويركز على ثلاثة إخوة جزائريين الذين يعيشون في فرنسا بعد أن نجوا من أعقاب مذبحة سطيف.

*كرنفال في دشرة: فيلم جزائري من نوع الكوميديا، تم إنتاجه في بداية التسعينات، صورت مشاهد الفيلم بالكامل في مدينة بسكرة، يميز الفيلم لغة شعبية، قام بدور البطولة كل من عثمان عريوات وصالح أوقروت.

(48) فن الكوميديا: محمد عناني، **مكتبة الأسرة**، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، الاسكندرية، 2002. ص 18.

(49) محمد ناصر بوحجام: **السخرية في الأدب الجزائري الحديث**، مرجع سابق، ص215.

(50) نبيلة ابراهيم: **فن القص في النظرية والتطبيق**، سلسلة الدراسات النقدية، دار قباء للطباعة، مكتبة غريب، دب، دت، ص197.

(51) محمد مفتاح: **تحليل الخطاب الشعري**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1985، ص123.

(52) إنعام نوال عكاوي: مراجعة أحمد شمس الدين: **المعجم المفصل في علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني"**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ط2، ص438.

(53) نعمان محمد أمين طه: **السخرية في الأدب العربي**، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، 1978، ط01، ص45.

(54) نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، المرجع السابق، ص3.

(55) شمسى واقف زاده: **الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية**، مجلة دراسات في الأدب المعاصر، ع12، السنة الثانية، دس، ص102.

(56) كاظم مؤنس: **خطاب الصورة الاتصالي وهذيان العولمة**، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008، ص06.

(57) مقابلة مع الكاتب والصحفي "عمار يزلي" نشرت في الموقع الالكتروني لجريدة الشعب، يوم 18 أكتوبر 2015، على الموقع التالي:

http://www.ech-chaab.com/ar/widgetkit/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A.html, consulté le 27 avril 2016 à11: 30.